تهوى الى الصوت والظلماء عاكفة تعود الـيـل لاقى الجيد فاطّلعـا

هذا بعد ان قال

انى ومـا تبتغي مني كعابثس صيدًا وما نال منهُ الريُّ والشبعا
اللون اربد والانياب شائكة عضل ترى السم يجري بينها قطعا
اصم ما شمَّ من خضراء ايـهـا او شم من حجر أوهاهُ فانصدعا

فقد جعل لها أنيابًا عضلاً ووصفها بغاية الخبث وزعم انها تسمع . فهؤلاء ثلاثة شعراء . فان قلت ان المولد لا يؤمن عليهِ الخطاء اذا كان دخيلاً في ذلك الامر وليس كالاعرابي الذي انما يحكي الموجود الظاهر لهُ الذي عليهِ نشأ وبمعرفتهِ عزي فالعلماء الذين اتَّسعوا في علم العرب حتى صاروا اذا اخبروا عنهم بخبر كانوا الثقات في ما بيننا وبينهم هم الذين نقلوهُ الينا وسواء علينا جعلوهُ كلامًا وحديثًا منثورًا او جعلوهُ رجزًا وقصيدًا موزونًا

نقول وانتقاد الجاحظ حسن جدًّا ولكن النسخة التي عندنا ليست صريحة بل فيها كثير من الدخيل على ما يظهر كأن الذي خطَّها جمع بين المتن والحواشي فلا يسهل علينا الفصل بينهما . وفيها ايضًا لحن كثير اصلحنا بعضهُ ولم نستطع اصلاح البعض الآخر

تاريخ مدينة منف

بقلم حضرة احمد بك كمال الامين الوطني في المتحف المصري

تأسست هذه المدينة سنة ٥٦٢٦ قبل الهجرة وهي مبدأ تاريخ الديار المصرية كما ورد في جدول مانيثون وعن الثوراة ان الوجه البحري اعطي اقطاعًا لنفتوحيم ثالث اولاد مصرايم واستوطن فيهِ هو وذريتهُ وتسميهم الآثار نوبتاح اي السكان المنسوبين الى مدينة بتاح وهي التي سميت فيما بعد منف وبتاح هذا هو اول معبود عند اهل هذه المدينة وهو رأس العائلات المقدسة في مذهب كهنتها . ثم اجتمع فيها خلق كثير وتزايد عمرانها واتسعت اعمالها وامتد نفوذها وتعالى فخرها حتى صارت عاصمة الملك وكان ينبعث منها اهم امور المملكة المصرية وتصدر منها الارادات والاوامر السنية وصارت مستودعًا للتجارة ومقرًّا للصناعة وكان فيها مكتبة عظيمة اخذ منها هوميروس الشاعر جميع ما اشتملت عليهِ قصائدهُ من الحوادث . وذكر استرابون انهُ طالع في كتب الكهنة التي كانت فيها محفوظة في مكتبة مخصوصة . وكان فيها ايضًا مقابر الملوك واهم آثارهم منها معبد بتاح وهو اقدمها وكان محرابًا صغيرًا لما كان في موضع منف قلعة أنبوحزو

ثم زادهُ مينا وزاد خلفاؤهُ في رونقهِ وتوسيعهِ واهدوا اليهِ الهدايا الجزيلة جيلاً بعد جيل الى ان دخلت الفرس ارض مصر وحصل ما حصل من تخريب المدينة

وروى ديودوروس عن المصريين ان الملك أسيخيس بنى باسم ولكانوس الايوان الغربي وهو اكبر الايوانات واثمرها قال وكل أروقة هيكل الاله المذكور مزينة بصور متقنة النقش وبكثير من الزخارف التي كان من عادتهم ان يزينوا بها الابنية ولكن هذه تفوق الجميع بكثير. ولما عاد الملك سيزوستريس من فتوحاتهِ استخدم جميع الاسرى الذين اتى بهم الى مصر في قطع الحجارة الكبيرة التي بنى بها معبد ولكان ووضع امامهُ ستة تماثيل اثنين منها ارتفاع كل واحد منهما ثلاثون ذراعاً احدهما تمثالهُ والآخر تمثال زوجتهِ والاربعة الاخر ارتفاع الواحد منها عشرون ذراعاً وهي تماثيل اولادهِ الاربعة ووجد اسمهُ منقوشاً على جدران سور معبد مزين بانواع الزينة جنوبي معبد ولكان . وكان في معبد السور معبد صغير اهدي الى وينوس وهي هيلانة بنت تانداد وحول هذا السور كانت منازل اليونان وكان خطهم جنوبي معبد ولكان . وقد بنى فرعون مصر لهذه المعبودة الاجنبية هذا المعبد ولا يعلم لذلك سبب فان الفراعنة كانوا محافظين على ديانة اجدادهم فهل غلب جمالها على لبهِ حتى بنى لها معبداً قرب معبد بتاح وأسوريس وإسيس او كان الحامل لهُ على ذلك امر آخر. والذي يغلب على الظن ان وينوس هذه كانت تسمى حاتحور عند المصريين وانهُ كان لها في ديار مصر معابد كثيرة وقد قلنا انهُ كان لها معبد في منف فغيَّر اليونان اسمها وسموها وينوس ونظموها في سلك معبوداتهم

والفرعون الذي ورث الملك بعدهُ وهو مفتاح بنى الابواب الغربية ووضع امامها تمثالين ارتفاع احدهما عشرون ذراعاً ويسمى التمثال الشمالي وعند المصريين تمثال الصيف والجنوبي تمثال الشتاء. وكانوا يحترمون تمثال الصيف ويقربون لهُ الهدايا دون الثاني . وكان امام الباب الشرقي تمثال اعظم من جميع التماثيل في الزينة والفخامة . وفي مبدإ انشاء المدينة كان ولكان يطلق على النار الزمانية يعنون بهِ العقل غير المتناهي المدبر للعالم والمقوم لكل شيء وليس مرادهم بهِ النار المادية. وبتاح عند المصريين هو الفتاح القادر الذي بيدهِ ملكوت كل شيء — وفي عبارة طاطليس انهُ كان عقلاً على الخالق لكل شيء . ونقل ديودورس الصقلي عن كهنة مصر ان بتاح اسم اول من ملك مصر

وافتتح مانيثون المصري سلسلة الملوك بالآلهة فجعلها علماً على الزمن المجهول كما يظهر من عبارتهِ حيث قال انهُ لا يتحدد الزمن على ولكان. اي انهُ مجرد عن الزمن وفي عبارة ديودورس ان ولكان هو الذي اوجد النار ولذا جُعِلَ ملكاً على مصر. وهذه العبارة تدل على ان الاعتقاد

الاول الذي كان لقدماء المصريين ابق خلفهم اعتقادًا آخر وهو ان بتاح عم على النار الدنيوية وان اليونان جعلوا ولكان وبتاح واحدًا وليس كذلك. وقد كان امام هذا المعبود وحوله صور وتماثيل الفراعنة التي وضعت للتقرب والالتجاء فكان امام باب المعبد الجنوبي تمثال سيزوستريس وزوجته واولاده وامام الباب الشمالي تمثال الصيف والشتاء ويؤيد ذلك ان الكهنة لم تمكن دارا ملك الفرس من وضع تمثاله على باب المعبد محتجين بانه لم يصل الى ما وصل اليه سيزوستريس . وقدم هذه العبادة عند المصريين متفق عليه عند المؤرخين كما اتفقوا على انه لم يسبق بتاح غيره

وفي زمن بسامتيك بني بناء بجانب معبد بتاح للمعبود أبيس الذي قال فيه استرابون انه لم يكن شيئًا غير أسوريس. وفي هذا البناء كان العجل أبيس مجللاً وهو ثور يسرح فيه العجل المقدس جدرانه منقوشة وفي عمده تماثيل كبيرة ارتفاع كل واحد منها اثنتا عشرة ذراعًا. وفي داخله معلف له ومعلف آخر لأمه وكانوا يطلقونه في هذه الحوش في اوقات معينة لينظره الغرباء لانهم كانوا لا يكتفون برؤيتهم اياه من شباك وهو في محله فكان حين اطلاقه يشب عدة وثبات . وكان امام معبد بتاح ميدان لنطاح العجول التي كانت ترى لهذه العناية . وكان للذي يغلب منها مكافأة كما في سباق الخيل . وفي زمن أمازيس بلغ تبجيل العجل منتهاه ومع ذلك فقد قال المؤرخون ان أمازيس اقام امام معبد بتاح معبدًا لاسوريس واربعة تماثيل واحد منها مضاعف تمثال سيزوستريس

ويؤخذ مما تقدم ان عبادة العجل أبيس حادثة وكان اعتبارها اقل من اعتبار عبادة بتاح عند اهل منف . وكان امام المعبد تمثال مستلق على ظهره طوله خمس وسبعون قدمًا اي خمسون ذراعًا على هيئة سبع ولم يعلم سبب وضع هذا التمثال بهذه الكيفية مع ان جميع التماثيل الموضوعة امام القصور والمعابد اما قائمة او جالسة فلعله كان تمثال النيل يتدفق منه الماء وحوله الاطفال وهم كناية عن الست عشرة ذراعًا المؤذنة بالوفاء لكن قال جميع المؤرخين ان هذا التمثال من عمل الاجانب لا المصريين. وكانت العادة عندهم انهم لا يسقون العجل من ماء النيل بل من بئر محفورة في الوادي بقرب جبل لبيا وكان عمره لا يزيد ولا ينقص عن خمس وعشرين سنة على قول بلوتارك . ونبه هذا المؤرخ على ان هذا العدد مربع عدد خمسة وانه ساو لعدد حروف الهجاء عند المصريين وهو دور من السنين القمرية الشمسية بعدها تتحد حركة النيرين وكان في معبده مجلس لتتويج الملوك وفيه ايضًا كانوا يحلفون الايمان الوثيقة على عدم زيادة شهر او يوم على السنة بل تبقى على ما هي عليه ثلثمائة وخمسة وستين يومًا كما

وصلت اليهم من الاقدمين . وكان المتَّبع عند المصريين في شأن العجل تربيتهُ اولا عند القياس الذي محلهُ مبدوم على ما حققهُ بعضهم ثم يأتون بهِ الى مدينة منف . وكانوا قبل موسم النيل يرقبون درجة ارتفاعهِ في البئر التي في معبد ايبس لان الذراع المعتبرة للقياس كانت تنقل اليها باحتفال عظيم وبقيت هذه العادة على هذا المنوال الى وقت ظهور الديانة المسيحية ثم صارت الذراع المذكورة تنقل الى الكنيسة باسم القيصر قسطنطين . ثم اعيدت الى معبد ايبس زمن القيصر غوليان وفي زمن طيودوس احد قياصرة الروم هدم هذا المعبد وبطلت تلك العبادة وكان زمن هذا القيصر اخر زمن زالت فيهِ اكثر عوائد المصريين ومواسمهم

ثم ان ما كان يعمل للعجل ايبس من المواسم والولائم والقرابين التي كان يتقرب بها اليهِ وموافقة وقت شهرتهِ في الديار المصرية لوقت دخول العبرانيين اليها وزيارة قياصرة الروم لمعبدهِ وشغفهم برؤيتهِ وغارات كمبيز ملك الفرس والاكاذيب التي نشرها الرومان والقسوس والفتن التي حصلت بينهم عند ظهور الديانة المسيحية هي التي نشأ عنها ضياع الحقائق التي كانت عند المصريين . وبدخول الغرباء وانحطاط قدر اهل هذه الديار اخذت الاكاذيب في الظهور والحقائق في الاختفاء ودمرت مدينة منف بعد ان كانت اشهر مدن الدنيا في ذلك الوقت . وقد زارها الشيخ عبد اللطيف البغدادي ووصفها في رحلتهِ وصفًا شافيًا فاستصوبنا ذكرهُ هنا برمتهِ ليعرف منهُ كيف كان حال هذه المدينة في ايامهِ . قال المحقق المذكور

مدينة منف كان يسكنها الفراعنة وكانت مقر مملكتهم واياها عني بقولهِ تعالى عن موسى عليهِ السلام ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها وبقولهِ تعالى وخرج منها خائفًا يترقب لان مسكنهُ عليهِ السلام كان بقرية بالجيزة قريبة من المدينة تسمى دموه بها اليوم دير لليهود ومقدار خرابها اليوم مسيرة نصف يوم في نحوه وقد كانت عامرة في زمن ابرهيم ويوسف وموسى عليهم السلام وبعدهُ الى زمن بختنصر فانهُ خرب ديار مصر وبقيت على خرابها اربعين سنة وسبب خرابهِ إياها ان ملكها حمى منهُ اليهود حين التجأوا الى مصر فقصدهُ واباد دياره ثم جاء الاسكندر بعد ذلك واستولى عليها وعمر بها الاسكندرية وجعلها مقر الملك ولم تزل على ذلك الى ان جاء الاسلام ففتحت على يد عمرو بن العاص رضي الله عنهُ وجعل مقر الملك بالفسطاط ثم جاء المعزُّ من المغرب وبنى القاهرة وجعلها مقر الملك الى اليوم . ثم ان مدينة منف مع تعفية آثارها ومحو رسومها ونقل حجارتها وآلاتها وافساد ابنيتها وتشويه سورها ومافعلتهُ فيها اربعة آلاف سنة فصاعدًا كنت تجد فيها من العجائب ما يفوق فهم المتأمل ويحير دون وصفهِ البليغ وكلما زدتهُ تأملاً زادك عجبًا وكلما زدتهُ نظرًا زادك طربًا ومهما استنبطت منهُ معنى انبأك بما هو

اغرب ومهما استأثرت منهُ علماً دلَّك على ان وراءهُ ما هو اعظم. فمن ذلك البيت المسمى بالبيت الاخضر وهو حجر واحد تسع اذرع ارتفاعاً في ثمان طولاً في سبع عرضاً قد حفر في وسطهِ بيت جعل سمك حيطانهِ وسقفهِ وارضهِ ذراعين ذراعين والباقي فضاء البيت وجميعهُ ظاهراً وباطناً منقوش ومصور ومكتوب بالقلم القديم وعلى ظاهرهِ صورة الشمس مما يلي مطلعها وصور كثير من الكواكب والافلاك وصور الناس والحيوان ما بين قائم وماش وماد رجليهِ وصافهما ومشمر لخدمة وحامل آلات ويشير بها يشعر ظاهر امرها انهُ قصد بها محاكاة امور جليلة واعمال شريفة وهيئات فاضلة واشارات الى اسرار غامضة وانها لم تتخذ عبثاً ولم يستفرغ في صنعتها الوسع لمجرد الزينة والحسن. وقد كان هذا البيت ممكناً على قواعد من حجارة الصوان العظيمة تحفر تحتها الجبلة والحق طمعاً في المطالب فتغير وضعهُ وفسد هندامهُ واختلف مركز ثقلهِ وثقل بعضهُ على بعض فتصدع صدوعاً كثيرة. وقد كان في هيكل عظيم مبني بحجارة جافية على اتقن هندام واحكم صنعة وفيهِ قواعد وعمد عظيمة وحجارة الهدم متواصلة في جميع اقطار هذا الخراب وفي بعضها حيطان مائلة بتلك الحجارة الجافية وفي بعضها اساس وفي بعضها اطلال

ثم قال ورأيت عند باب شاحق ركاهُ حجران فقط وازجهُ حجر واحد قد سقط بين يديهِ وتجد هذه الحجارة قد حفر بين الحجرين منها نحو شبر في ارتفاع اصبعين وفيهِ صدأ النحاس وزبجرتهُ فعلمت ان ذلك قيود للبناء وتوثيقات للحجارة ورباطات بينها بان يجعل لهُ النحاس بين الحجرين ثم يصب عليهِ الرصاص وقد تبعتها الانذال فقلعوا منها ما يعلمُ الله تعالى وكسروا لاجلها كثيراً من الحجارة حتى وصلوا اليها ونعم الله لقد بذلوا الجهد في استخلاصها وابانوا عن تمكن من اللؤم وتوغل في السخافة. واما الاصنام وكثرة عددها وعظم صورها فامر يفوق الوصف ويتجاوز التقدير واما اتقان اشكالها واحكام هيئاتها ومحاكاة الامور الطبيعية بها فموضع التعجب في الحقيقة فمن ذلك صنم ذرعناهُ سوى قاعدتهِ فكان نيفاً وثلاثين ذراعاً وكان سعتهُ من جهة اليمين الى اليسار نحو عشر اذرع ومن جهة الخلف الى الامام على تلك النسبة وهو حجر واحد من الصوان الاحمر وعليهِ من الدهان الاحمر ما لم يزدهُ تقادم الايام الا جدة وقد حفظ فيهِ مع عظمهِ النظام الطبيعي والتناسب الحقيقي. ورأيت اسدين متقابلين وصورتهما هائلة جداً قد حفظ فيهما النظام الطبيعي والتناسب الحيواني وقد تكسرا وردما بالتراب. ووجدنا من سور المدينة قطعة مبنية بالحجارة الصغار والطوب الكبير الجافي متطاول الشكل مقدار نصف الاجر الكسروي بالعراق كما ان طوب مصر الآن نصف اجر العراق الآن ايضاً ولم يبق علينا بعد ما ذكرناه شيء اه

وبالجملة فهذه المدينة ترادفت عليها حوادث كثيرة خرَّبتها وذلك كتغلب الحبشة والفرس وكالحروب التي جرت بينهم وبين ملوكها الاصليين وقادت مدةً طويلة حتى اضرت بالمدينة وبالقطر كله وكدخول الاسكندر الاكبر واستيلاء البطالسة عليها وانتقال التخت الى الاسكندرية وخصوصاً اتخاذ بساميتك عساكر من اليونان واقطاعهُ اياهم اراضي البلاد حتى توطنوا داخل القطر فلا شك ان ذلك من اقوى الاسباب التي اوجبت خرابها ومع كون الاسكندرية كانت في ذلك الوقت تحت المملكة ومركز التجارة لم تتجرد منف عن كل شهرتها لانهُ كان باقياً بها مزية لترجيح البطالسة وأمناء الديانة الاهلية وان كانوا على غاية من الاطاعة للملوك الغرباء لكنهم كانوا محافظين على قواعد دينهم ومتمسكين بعبادتهم الاصلية من غير معارضة فلما وصلت البلاد المصرية الى قياصرة الروم تضعضع حال منف وصار اغلب معابدها وقصورها خراباً لأن حجارتها العظيمة كانت تنقل لبناء الاسكندرية وبقيت هكذا حتى اتى العرب هذه الديار وبنوا مدينة الفسطاط وصاروا ينقلون ما بقي من آثارها لبناء المساجد والمنازل ونُقِلَ كثير من حجارتها الى القاهرة ايضاً وقت بنائها ومع هذا فقد بقي مقياسها سليماً الى القرن الثامن من الميلاد وكان يعتمد عليهِ في احوال النيل وبقي ايضاً الاثر الجليل المسمى في رحلة الشيخ عبد اللطيف بالبيت الاخضر الى القرن الرابع عشر من الميلاد فانهُ لم يكسر الاَّ سنة ٧٥٠ من الهجرة الموافقة سنة ١٣٤٩ من الميلاد وذلك بامر الامير سيف الدين شيخو العمري واخذت حجارتهُ لبناء مسجدهِ كما ذكرهُ العلامة المقريزي في خططهِ. ومن يمعن النظر في اطراف جامع شيخو بالصليبة يجد من ذلك قطعاً يستدل بها على ذلك والله اعلم

باب الزراعة

المعرض الزراعي

وما يستفاد منهُ

لقد تحققت امنيَّة المقتطف التي كرَّرها مراراً منذ عشرين عاماً الى الآن فأُنشئ المعرض الزراعي في هذه العاصمة وفُتح اول مرة في الثلث الاخير من دسمبر في رحاب الجزيرة الى ان يبنى لهُ بناء خاصٌّ بهِ. واقتصر المعروض فيهِ هذا العام على الحاصلات الزراعية وادوات الزراعة والمواشي والحيوانات التي يربيها اهل الزراعة